وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بلمسيلة

كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

دروس في البلاغة العربية

موجهة لطلبة السنة الأولى ليسانس .

إعداد الدكتور : عبد العزيز تواتي .

السنة الجامعية : 2021/2020

المحاضرة الأولى

البلاغة: المصطلح والمفهوم

لقد ازداد الاهتمام بالبلاغة من قبل الباحثين والعلماء مع دراسة القرآن الكريم، الذي كان المحفّز الأساسي لانبثاق مختلف العلوم، ومنها علم البلاغة والفصاحة، إضافة إلى محفز آخر يتمثل في كلام العرب من أشعار وأمثال وخطب، تناقله الرواة وتدارسوه.

تعتبر الفصاحة شرطا أساسيا للبلاغة، فما ليس بفصيح فلن يكون بليغا؛ لذلك لا بد من معرفة الفصاحة وشروطها، كأساس للانتقال إلى مفهوم البلاغة، وللفصاحة معانٍ تلتقي كلها في معنى البيان والظهور والوضوح، قال ابن منظور: «يقال: ما كان فصيحا ولقد فَصُح فَصاحة، وهو البيّن في اللسان والبلاغة»[1]، وفي القرآن ورد قوله تعالى: (وأخي هارون هو أفصح مني لسانا)، وجاء في تفسيره: «يقول: أحسن بيانا عما يريد أن يُبيّنه»[2].

وتُطلق الفصاحة وصفا للكلمة والكلام والمتكلم، فأما **الكلمة الفصيحة** فهي الخالية من هذه العيوب[3]:

1- تنافر الحروف: وهو يوجب ثقل الكلمة على السمع وصعوبة أدائها باللسان، وهو نوعان: شديد في الثقل نحو كلمة "الظّشّ" (الموضع الخشن)، ونحو "الهعخع" (نبت ترعاه الإبل)، وخفيف ككلمة النقنقة لصوت الضفدع وكلمة النقاخ وهو الماء العذب وكلمة مستشزرات التي وردت في شعر امرئ القيس: غدائره مستشزرات إلى العلا

والضابط في معرفة الثقل في الكلمة هو الذوق السليم والحس الصادق.

2- غرابة الاستعمال: أن تكون الكلمة غير ظاهرة المعنى ولا مألوفة الاستعمال، مثل كلمة افرنقع، وتكأكأ، من قول عيسى بن عمر النحوي: ما لكم تكأكأتم عليّ كتكأكئكم على ذي جنة، افرنقعوا عني.

3- مخالفة القياس: أن تكون الكلمة مخالفة لما ثبت من القوانين الصرفية المستنبطة من كلام العرب، نحو كلمة "الأجلل" في قول أبي النجم: الحمد لله العليّ الأجلل/ الواحد الفرد القديم الأول، فالقياس الأجلّ بالإدغام، ولا مسوّغ لفك الإدغام، ويستثنى من ذلك ما ثبت استعماله عند العرب ولو خالف القياس، مثل كلمة المشرق والمغرب بكسر الراء فيهما، والقياس فتحها.

4- الكراهة في السمع: كون الكلمة وحشية تمجّها الأسماع وتأنفها الطباع، ككلمة "الجِرِشّى" وهي النفس في قول المتنبي: مبارك الاسم أغر اللقب/ كريم الجرشى شريف النسب

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (دت)، مادة (فصح)، ج02، ص544.
[2] محمد بن جرير الطبري،جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر، القاهرة، ط1، 2001م، ص249.
[3] يُنظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (دت)، ص20 وما بعدها.

وأما **الكلام الفصيح** فهو ما خلا من هذه العيوب:

1ـ تنافر الكلمات: حيث تجتمع الكلمات المتنافرة فتثقل على السمع، ويعسر النطق بها، كقول الشاعر: وحرب قبر بمكان قفر/ وليس قرب قبر حرب قبر، وهو شديد الثقل، ومن خفيفه قول أبي تمام: كريم متى أمدحه أمدحه والورى/ معي وإذا ما لمته لمته وحدي

2ـ ضعف التأليف: وهو أن يجري الكلام على خلاف ما اشتهر من قوانين النحو المعتبرة عند الجمهور، كوصل الضميرين، في قول المتنبي: خلت البلاد من الغزالة ليلها/ فأعاضهاك الله كي لا تحزنا، وكالإضمار قبل ذكر المرجع لفظا ورتبة، نحو: ولو أن مجدا أخلد الدهر واحدا/ من الناس أبقى مجده الدهر مطعما

3ـ التعقيد: هو أن يكون الكلام غير ظاهر الدلالة على المراد به، وهو إما أن يكون لفظيا ناشئا عن تقديم أو تأخير أو فصل بأجنبيّ، كقول المتنبي: وما مثله في الناس إلا مملكا/ أبو أمه حيٌّ أبوه يقاربه، وإما أن يكون معنويا، وذلك أن يكون انتقال الذهن من معنى إلى معنى لازمٍ له غيرَ ظاهر، كقول العباس بن الأحنف: سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا/ وتسكب عيناي الدموع لتجمدا، فجمود العين كناية عن البخل لا المسرة التي أرادها الشاعر[1].

4ـ كثرة التكرار: هو تعدد اللفظ مرة بعد أخرى من غير فائدة، كقول الشاعر: إني وأسطارٍ سُطرن سَطرا/ لقائل يا نصرُ نصرُ نصرا

5ـ تتابع الإضافات: كقول ابن بابَك: حمامة جرعا حومة الجندل اسجعي/ فأنت بمرأى من سعاد ومسمع

وأما **فصاحة المتكلم** فهي «ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح»[2].

أما **البلاغة** فتعني لغةً الوصول والانتهاء، وفي لسان العرب: «بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا: وصل وانتهى »[3]، أما اصطلاحا فقد اشتهر تعريفها بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحة ألفاظه، والبلاغة هي «تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلاب، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه والأشخاص الذين يخاطبون »[4].

ومن تعريف البلاغة نلمح أهمية الحال أو المقام، فهو الذي يحمل المتكلم على إيراد كلامه بصورة مخصوصة هي ما يقتضيه ذلك الحال، فالمدح مثلا قد يوجب الإطناب في الكلام، فالمدح مقام، والإطناب مقتضى ذلك المقام، وإذا تم الكلام بليغا تمكن من نفس السامع وأحدث في نفسه أثرا، بأساليب ـ يتضمنها ـ تناسِب بين الألفاظ والمعاني، وخلاصة البلاغة

[1] يُنظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ص17، 18.
[2] المصدر نفسه، ص19.
[3] لسان العرب، مادة (بلغ)، ج08، ص419.
[4] جواهر البلاغة، ص40.

أنها تقع «في الكلام الذي يصيب معناه بوضوح وسلامة، مع خلوه من التكلف والفضول، ومراعاته لمقتضى الحال»[1]، و**المتكلم البليغ** هو كل ذي ملكة في نفسه يقتدر بها على إنشاء الكلام البليغ الذي سبقت صفته، ولا يتأتى له ذلك إلا بالإحاطة بأساليب العرب وفنونهم في القول حال مخاطباتهم ومنافراتهم ومفاخراتهم ومديحهم وهجائهم وشكرهم واعتذارهم وغير ذلك.

تطبيق:

1ـ ما الفصاحة؟ وما البلاغة؟ عدّد العيوب المخلة بفصاحة المفرد. ما معنى مخالفة القياس؟

2ـ ما الذي أخل بالفصاحة فيما يلي:

ـ قال الشاعر: فلا يبرم الأمر الذي هو حالل/ ولا يحلل الأمر الذي هو يبرم

ـ قال أبو تمام: قد قلت لما اطلخمّ الأمر وانبعثت/ عشواء تالية غُبسا دهاريسا

ـ وقال آخر: فإن يك بعض الناس سيفا لدولة/ ففي الناس بوقات لها وطبول

ـ وقال المتنبي: أبعد بعدت بياضا لا بياض له/ لأنت أسود في عيني من الظلم

ـ وقال ابن جحدر: حلفت بما أرقلتْ حوله/ همرْجَلَة خلقها شيظم

ـ وقال آخر: لم يلقها إلا بشكة باسل/ يخشى الحوادث حازم مستعدد

ـ وقال آخر: لك الخير غيري رام من غيرك الغنى/ وغيري بغير اللاذقية لاحق

ـ وقال آخر: أنى يكون أبا البرية آدم / وأبوك والثقلان أنت محمد

ـ وقال آخر: ليس إلاك يا عليّ همام / سيفه دون عرضه مسلول

ـ وقال آخر: ومن جاهل بي وهو يجهل جهله / ويجهل علمي أنه بي جاهل

ـ وقال آخر: لما رأى طالبوه مصعبا ذُعروا/ وكاد لو ساعد المقدورُ ينتصر

ـ وقال زهير: ومن لم يذدْ عن حوضه بسلاحه/ يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ـ وقال آخر: وما أرضى لمقلته بحلم/ إذا انتبهت توهمه ابتشاكا

[1] مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر، (دت)، ص18.